أثر العلاقات العربية على انتشار الإسلام إلى بلاد الصين

إعداد الباحث/ أمر الله رجب أحمد محمد

ملخص البحث

تنبع أهمية هذا الموضوع عن العلاقات العربية الصينية قبل وبعد الإسلام، من بداية أول اتصال المسلمين بالصين، وذلك في عهد الخليفة عثمان بن عفان، ثم تطرق للدوافع التي ساعدت على نشر الإسلام في الصين، وضرورة التواصل بين الأقليات المسلمة في الصين، وكذلك الاتصال الثقافي بين العرب والصين، ومدى تأثر الصينيين بالثقافة الإسلامية، وذلك من جوانب عدة، سواء دينية أو تجارية أو اجتماعية، وكذلك تأثير العرب والصينيين في الكثير من العلوم الأخرى كالطب والفلك، وكذلك الفنون، كما تأثرت الثقافة الإسلامية بعلوم الصين كصناعة الورق، والبوصلة، والطباعة وغيرها.

كما تأثرت الثقافة الصينية بالهندسة المعمارية الإسلامية، كالنقوش الإسلامية، وكذلك تأثير الفنون الإسلامية بالصينية كصناعة الفخار وغيرها.

وقد قسمت البحث إلى أربعة مباحث:

- **المبحث الأول**: العلاقات العربية قبل وبعد الإسلام.
- **المبحث الثاني**: نشر الإسلام في الصين.
- **المبحث الثالث**: التأثير والتأثر بالعادات والقاليد.
- **المبحث الرابع**: التأثر والتأثير بالعلوم والفنون.

والخاتمة: وقد تضمنت النتائج التالية:

(١) أن الإسلام وصل إلى الصين في القرن الأول الهجري، وهو ما تشير إليه الدلائل الموجودة في الصين، وما تؤكده المصادر الصينية.

(٢) من أهم أسباب الاتصال الثقافي بين العالم الإسلامي والصين: التواصل مع الأقليات المسلمة، والنظر في شؤونهم وتلبية احتياجاتهم، ومحاولة الدعوة إلى الإسلام في الصين، أو على الأقل تزكية الدين في نفوس مسلمي الصين.

(٣) بعد استقرار الكثير من المسلمين في الصين، وتعايشهم مع الصينيين حتى أصبح المجتمع المسلم جزءًا لا ينفك عن المجتمع الصيني، وبدأ الأجيال يتعاقبون ويتعاملون على أنها وطنهم الأصلي.

Summary

The importance of this topic about Arab-Chinese relations before and after Islam stems from the beginning of the first contact between Muslims with China, during the reign of Caliph Uthman ibn Affan. It then touched on the motives that helped spread Islam in China, and the necessity of communication between Muslim minorities in China, as well as cultural communication between The Arabs and China, and the extent to which the Chinese were influenced by Islamic culture, from many aspects, whether religious, commercial, or social, as well as the influence of the Arabs and Chinese in many other sciences, such as medicine and astronomy, as well as the arts. Islamic culture was also influenced by Chinese sciences, such as paper making, the compass, printing, and others.

Chinese culture was also influenced by Islamic architecture, such as Islamic inscriptions, as well as the influence of Islamic arts in Chinese, such as pottery making and others.

The research was divided into four sections:

- **The first topic:** Arab relations before and after Islam.
- **The second topic:** Spreading Islam in China.
- **The third topic:** Influence and being influenced by customs and traditions.
- **Section Four:** Influence and influence by sciences and arts.

The conclusion included the following results:

(١) Islam arrived in China in the first century AH, which is indicated by the evidence found in China, and what is confirmed by Chinese sources.

(٢) Among the most important reasons for cultural contact between the Islamic world and China: communicating with Muslim minorities, looking into their affairs and meeting their needs, and trying to preach Islam in China, or at least purifying the religion in the hearts of Chinese Muslims.

(٣) After many Muslims settled in China and coexisted with the Chinese, until the Muslim community became an inseparable part of Chinese society, and generations began to follow each other and treat it as their original homeland**.**

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، ومن اتبع سبيله إلى يوم الدين، **وبعد:**

جاءت رسالة الإسلام إلى العالمين جميعًا؛ لتخرجهم من الظلمات إلى النور، ومنذ أن عرف المسلمون أنهم مطالبون بنشر الدعوة الإسلامية، خرجوا من الجزيرة العربية الواسعة، وانتشروا في كل الجهات، يرفعون راية الحق والإيمان؛ لأن الدعوة إلى الله تعالى وظيفة صفوة الخلق من أنبياء الله المرسلين عليهم الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾[1].

وقد دخل الإسلام إلى الصين على أصح الروايات في القرن الأول الهجري، (أواسط القرن السابع الميلادي)، وبالتحديد في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه. ولقد توافدت أعداد كبيرة من العرب والفرس إلى الصين، واستقروا بها، فبنوا المساجد لممارسة الأنشطة الدينية، وبطبيعة التجاور الجغرافي بين المجتمعات البشرية، وارتحال الإنسان من قطر إلى قطر، وكثرة أسفاره للكسب تارة وللتعليم أخرى، بدأ الإنسان يأخذ من ثقافة غيره؛ ليزداد فهمًا وليعلي من شأن ثقافته.

ومن هنا بدأ الحوار الثقافى بين حضارتي العرب والصين، ونتج عنه انتشار الإسلام في بعض مناطق بلاد الصين، ودخول بعض الصينيين في الإسلام، وقد تفاعل المسلمون مع أهل الصين، فامتزجت الحضارتان فترة كبيرة من الزمن وكان للمسلمين بصمات لا تزول، فكان بحثي تحت عنوان (**أثر العلاقات العربية على انتشار الإسلام في بلاد الصين**) فأسال الله التوفيق والسداد.

أهمية البحث:

١– بيان العلاقات العربية الصينية قبل وبعد الإسلام.

٢– لفت الأنظار إلى أهمية قضية الاتصال الثقافي بين الشعوب والحضارات، وإفادة البشرية بعضهم من بعض فكريًّا، ودينيًّا، واقتصاديًّا حتى في باب العادات والتقاليد.

٣– بيان أهم الجوانب الثقافية التي عُني المسلمون بنشرها في بلاد الصين.

أهداف الدراسة:

١– إبراز الدور الكبير الذي قام المسلمون في نشر العلوم والفنون الإسلامية في الصين.

٢– بيان العوامل التي ساعدت على نشر الإسلام في الصين.

٣– مدى التأثر والتأثير الحاصل بين الثقافتين الإسلامية والصينية من خلال الاتصال الثقافي.

منهج البحث:

يستخدم الباحث في هذه الدراسة نوعين من مناهج البحث، هما:

١– المنهج التاريخي: وهو ما يقوم على استرجاع الماضي، وما خلفه من آثار[٢] من عرض الأحداث التاريخية.

٢– المنهج الوصفي: وهو ما يقوم على دراسة الظواهر الطبيعية أو الاجتماعية وصفًا لها؛ للوصول بذلك إلى إثبات الحقائق العلمية[٣].

المبحث الأول:
العلاقات العربية الصينية قبل وبعد الإسلام

أولاً: العلاقات الصينية قبل عهد النبوة والخلافة الراشدة:

بدأت علاقة العرب بالصين منذ زمن بعيد، قبل الإسلام بقرون، وقد ذكر الأستاذ بدر الدين في كتابه "العلاقات بين العرب والصين" قائلا: "إن علاقة الصين بالعرب لم تكن وليدة لعصر الإسلام، بل ابتدأت قبل الإسلام بقرون، غاية الأمر أنها لم تكن أوثقت كما في زمن الإسلام، لكن العلاقة كانت موجودة على طريقة غير مباشرة أولا، ثم تطورت إلى علاقة مباشرة عند قرب ظهور الإسلام.....

واتفقت المصادر الثلاثة: الصينية والإيرانية واللاتينية على وجود العلاقة بين العرب والصين قبل الإسلام ببضعة قرون في شكل غير مباشر من خلال اتصال تجار العرب بالصينيين عن طريق التجار الإيرانيين والرومانيين"(٤).

ثانيًا: العلاقات الصينية في عهد النبوة والخلافة الراشدة:

وقد كانت الصين معروفة لدى المسلمين في صدر الإسلام، وذلك من خلال الاتصالات التجارية بين العرب والصين خاصة أن قريش كانت قوافلها تجوب أرض الشام والعراق صيفًا وشتاءً(٥).

وقد ذكر المسعودي ما يؤكد معرفة البلاط الصيني بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وتقصى أخباره وأصحابه والبيئة من حوله، فقد خرج من قريش رجل من ولد هبَّار بن الأسود من مدينة سيراف، وكان من أرباب البصيرة وأرباب النعم بها، وذوي الأحوال الحسنة، ثم ركب منها في بعض مراكب بلاد الهند، ولم يزل يتحول من مركب إلى مركب، ومن بلد إلى بلد، يخترق ممالك الهند، إلى أن انتهى إلى بلاد الصين، ثم دعته همته إلى أن صار إلى دار ملك الصين، فأقام بباب الملك مدة طويلة يرفع الرقاع، ويذكر أنه من أهل بيت نبوة العرب، واستوثق الملك من أمره فأذن له في الوصول إليه، ووصله بمال واسع، وأعاده إلى العراق، ودار حديث طويل بين الملك وهذا الشيخ وبينهم ترجمان، وقد أخرجوا له صورًا ورسومات، وقالوا

له: هل تعرف نبيك؟ وكان في إحدى الصور الرسومات لرجال في أرجلهم نعال عربية يمنية من جلود الإبل، وفي أوساطهم حبال علقوا عليها مساويك وأعواد من شجر الأراك(٦).

ثالثًا: العلاقات الصينية في العصر الأموي: (٤١-١٣٣هـ/٦٦١-٧٤٩م):

بعد أن استقر أمر تأسيس الدولة الإسلامية داخليًّا توجهت الجيوش بالدعوة الإسلامية إلى خارج الجزيرة العربية فغزوا بلاد ما وراء النهر، وفي خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي تقدم القائد "قتيبة بن مسلم" بفتح بلاد الترك حتى وصل إلى الصين، وأرسل إلى مالكها؛ ليدعوه وأرسل إليه الهدايا والأموال، وكثر جنده حتى وصل قريبًا من الصين، وذلك عام٩٦هـ/٧٥١م، وقد انتخب "قتيبة بن مسلم الباهلي" اثني عشر رجلا، وأمر لهم بعدة من سلاح ومتاع وأمّر عليهم هبيرة بن المشمرج الكلابي، وبعد أن وصلت جيوش "قتيبة" مدينة "كاشغر"، وانتصروا في معركة "الطلاس" على القائد الصيني "كيشان سي"، وكان ذلك في عهد أسرة "تانغ" عام ٩٠٧/٦١٨، وكان ذلك سببًا للوصول إلى العاصمة الصينية(٧).

رابعًا: العلاقات الصينية في العصر العباسي: (١٢٣-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م):

اتسمت العلاقات بين الدولة العباسية والإمبراطورية الصين بالصداقة والثقة فقامت التبادلات التجارية بين الدولتين، وقد استطاع العرب في أواخر القرن الثاني الهجري أن يستقروا في ميناء "خان فو"، وذلك تسهيلا لإمبراطور الصين، وتم تعيين قاضٍ للمسلمين يحكم بين المستوطنين العرب والمسلمين بالشريعة الإسلامية ويؤمهم في الصلاة، وكانوا يحملون جوازات تسمح لهم بالتنقل في داخل البلاد والتجارة مع أهلها، وظل الحال إلى أن قامت ثورات أدت إلى قطع تلك العلاقات، واتخذ العرب من جزيرة ملقاة مركزًا لهم(٨)، وقد اكتسبت هذه العلاقات بين الصين والمسلمين أهمية جديدة في عهد الدولة العباسية خلافًا لما كانت عليه الدولة الأموية(٩).

خامسًا: العلاقات الصينية مع الدولة العثمانية:

ظلت الاتصالات بين المسلمين والإمبراطورية الصينية في تقدم مستمر منذ أول رسول بعثه الخليفة عثمان بن عفان، وحتى القرن العاشر الميلادي، ولقد رأى السلطان عبد الحميد فكرة الاستفادة من مسلمي الصين بإيجاد علاقات معهم باسم الخلافة الإسلامية، فأرسل إلى الصين سنة ١٩٠٠م أحد القواد وهو أنور باشا لهذه الغاية، فأخفق إخفاقًا تامًّا بسبب ما وجده من مضايقات من الحكومة الصينية(١٠).

مرحلة الاستقرار وبداية التعايش بين المسلمين وأهل الصين:

حين بدأ عهد أسرة سونغ (٢٩٥-٦٦٩هـ/٩٠٧-١٢٧٩م) عظم الإسلام في بلاد الصين ووصل عدد السفارات العربية إلى بلاط الإمبراطور الصيني إلى (٤٩) سفارة، ولقيت تلك السفارات احترامًا كبيرًا، وتحرك المسلمون بحرية في عاصمة البلاد آنذاك (كراكورم)، وقد نمت العلاقات الثقافية بين العرب والصينيين.(١١)

المبحث الثاني:
نشر الإسلام في الصين

على الرغم من دخول الإسلام أراضي الصين في خلافة سيدنا عثمان بن عفان – رضي الله عنه – كما تؤكد الوقائع التاريخية، إلا أن الإسلام لم يأخذ مكانته اللائقة مع ما يحتوي هذا الدين من كل المقومات التي تجعله أرسخ عقيدة في القلوب، وأكثر ديانة بالانتشار، بل كان الإسلام معروفًا بين أفراد قلة من الصينيين، وقوميات محدودة.

أسباب عدم انتشار الإسلام في الصين:

أولا: عدم وجود عالم أو داع مستنير يجيد اللغة المحلية يبين حقائق الإسلام بين الصينيين؛ لأن الإسلام لم يعرف بين الصينيين إلا عن طريق التجار العرب، فاهتمامهم بالتجارة أعطى لهم فرصة للقيام بالدعوة بالطريق المنظم. والمساجد التي بنيت في الصين كانت محل العبادة فقط للداخلين فيها، ولم يكن لها دور في نشر الإسلام بين غير المسلمين.

ثانيًا: عدم اعتناق الأسر الملكية والنبلاء دين الإسلام، وظلوا متمسكين بالكنفوشيوسية أو البوذية أو الطاوية، وبالتالي كانوا غالبية الشعب على طبيعة ملوكهم. وقد استمر هذا الوضع لما يقرب من ألف سنة، وقد انتشر الإسلام في البلاد المجاورة للصين، وبالأخص التي تقع على جنوب الصين وهيمن على هذه المنطقة.

وبعد ما مضى على انتشار الإسلام في الصين أكثر من ١٣٠٠ سنة أصبح عقيدة مشتركة لدى عشر أقليات قومية هي: هوي، والويغور، والقازاق، والقرغيز، والتاتار، والأوزبك، والطاجبك، دونغشيانغ، وسالار، وباوآن، وهذه القوميات العشر هي من القوميات الست والخمسين الموجودة في الصين، كان عدد المسلمين الذين هاجروا إلى الصين في المرحلة الأولى جد قليل، ولكنهم لم ينصهروا في القوميات الأخرى، بل ضموا عددًا من أبناء القوميات الأخرى إليهم، الذين أسلم بعضهم؛ لاقتناعهم بالعقيدة الإسلامية، كما انضم البعض الآخر إلى صفوف المسلمين بمحض إرادتهم بسبب الزواج. ومع زيادة عدد المسلمين الصينيين بمرور الأيام تعاظم تأثير المسلمين في الصين بصورة ملحوظة[١٢].

المبحث الثالث:
التأثر بالعادات والتقاليد الإسلامية

إن من أصعب الأمور على الإنسان أن ينسلخ من عاداته التي اعتاد عليها، وتربى عليها، والتقاليد التي اتبعها منذ زمن بعيد، ولكنه بمجرد اختلاطه بثقافة أخرى فإن عاداته وتقاليده التي نشأ عليها تتغير شيئًا فشيئًا، فلم تكن التجارة هي الشيء الوحيد الذي اكتسبه الصينيون إلى بلادهم، بل اكتسبوا التجارة، ودين الإسلام، وثقافة المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم.

فقد حدث تأثر وتأثير بليغ بين مسلمى الصين، ومسلمي العرب الذين سكنوا أرض الصين حديثًا، فقد تأثر مسلمو الصين بعادات المسلمين الذين استقروا ببلادهم، وأكثر ما تأثروا به هي المناسبات العامة وخاصة الخطبة والزواج، ومراسم الدفن والجنائز، وقد وصل الأمر إلى التأثر في نظام أكل الكثير من الأطعمة مع تطبيق الشريعة الإسلامية، والحفاظ على الأحكام الفقهية، وقد تأثر المسلمون الصينيون بالثقافة الإسلامية في جوانب دينية، وتجارية، واجتماعية، واقتصادية، ففي الجانب الديني "يلتزم المسلمون الصينيون – وخاصة أبناء قومية هوى – بنهج النبي عليه الصلاة والسلام، وما جاء على لسانه، كما كانوا يهتمون بدراسة الثقافة الصينية، ودراسة فن الطب الصيني، فهم يهتمون اهتمامًا أكبر بالالتزام بتعاليم الإسلام، ويتضح ذلك في تمكنهم من قراءة القرآن الكريم باللغة العربية منذ مرحلة الصبا"(١٣).

ففي مجال التجارة "فإن الكثير من أفراد قومية (قومية هوى) المقيمين ببكين عملوا على مدار أجيال متلاصقة في تجارة الأحجار الكريمة والمجوهرات التي كان منشؤها تجارة العرب بالأحجار الكريمة التي كانوا يحضرونها من جزيرة العرب إلى الصين، حتى أصبحت تجارة الأحجار أحد الأنشطة التي ترتبط بأبناء هذه القومية"(١٤).

أما عن الأعياد الإسلامية في الصين "فيقوم المسلمون الصينيون بصناعة المعجنات والفطائر المقلية، وفي اللحوم يعرف المسلمون بتفضيلهم لحوم الأغنام، وقد تأثر مسلمو قومية هوى والأيغور بهذه العادات العربية في إعداد اللحوم، وحافظوا عليها وطوروها بما يتوافق مع الذوق الصيني، ونجحوا في الدمج بين الطريقتين العربية والصينية في إعدادها(١٥).

أما عما يتعلق بالمأكل والمشرب "فإن الدين الإسلامي يرتقي ببعض العادات إلى درجة التحريم لبعض المأكولات التي يشتهر بأكلها أهل الصين كالخنزير، وهو محرم تحريمًا قطعيًّا،

وكذلك الحيوانات المفترسة، فالمسلم الصيني الملتزم لا يتناول لحم الخنزير، ولا يشرب الخمر، ويلتزم بالشريعة الإسلامية على قدر استطاعته، فعندما يتذوق الإنسان الصيني أحد أطباق الأطعمة الإسلامية الصينية، فإنه يدرك في الوقت نفسه حقيقة تأثير هذه الأطعمة بثقافة الأطعمة العربية(١٦).

أما عن الجوانب الاجتماعية فمن العادات التي اكتسبها مسلمو الصين من العرب عادات الزواج فقد ورثوا عن آبائهم طريقة الزواج الإسلامي، وقد ذكر الأستاذ فهمي هويدي بعد زيادة إلى الصين، وأهمها "أن تقليد زواج المسلم من فتاة تنتمي إلى قوميته – وليس دينه فقط – هو القاعدة، ونظام الزواج المدني هو السائد طبقًا للقوانين الصينية بطبيعة الحال، لكن المسلمين يصرون على أن يعقدوا عقدًا شرعيًا يتولاه الإمام نفسه، وهو ما يسمونه (الإجابة)؛ لأن العروس تجيب فيه بالموافقة على الزواج، وبعد التسجيل في مكتب الزواج يقيم الأهل احتفالا في المنزل يدعى إليه الأقارب والأصدقاء ويصدره الإمام بقراءة بعض الأدعية بصوت أقرب إلى الغناء، ثم يتلو بعض آيات القرآن الكريم، ويقف ليلقي خطبة النكاح التي فيها موعظة للزوجين، ويبدأ مراسم العقد باسم الله المحمود، وتتم حفلات الزفاف بهدوء، وبغير صخب في بيوت المسلمين بمختلف أنحاء الصين(١٧).

أما عن تأثير المسلمين المهاجرين إلى الصين بالعادات والتقاليد "فليس من البعيد أن تكون المعاملات مع الصين، وقد تخاطبوا بأسماء إسلامية، واستعملوا في الوظائف أو الأعمال الخاصة، ولعلهم في ذلك الوقت لم يتعودوا على لبس الملابس الصينية(١٨).

والسبب الذي جعل المسلمين يفكرون في الاندماج مع الصينيين في عاداتهم وتقاليدهم يرجع إلى أمرين:

أحدهما: أنه مع سبب زيادة أعداد المسلمين يومًا بعد يوم في كثير من مناطق الصين، فقد شعروا بلزوم التغيير في مظاهر حياتهم اليومية، فرأوا أنه من الملائم أن يعيشوا عيشة أقرب إلى حياة الصين الاجتماعية، فبدأوا يلقبون أنفسهم بأسماء العائلات الصينية ولبس الملابس الصينية حتى اعتادوا على عادات الصين، وقد مالوا إلى دراسة اللغة الصينية، وفهم ثقافتهم فتصينوا في كل شيء إلا العقيدة والعبادات الدينية(١٩).

ثانيًا: سيطرة المسلمين على المراكز العالية في إمبراطورية الصين في عهد أسرة يوان "المغول"، وقد أحدث ذلك ضغينة عند بعض الصينيين، مع أنهم لم يظهروا كراهيتهم للمسلمين في البلاد، فنظروا إليهم على أنهم أجانب جاءوا إلى الصين، واشتغلوا بالتجارة، وبطبيعة الحال فإن حياة المسلمين الاجتماعية، وعاداتهم الخاصة أصبحت سخرية من قبل جيرانهم من الصينيين.

المبحث الرابع:
التأثر والتأثير بين العرب والصين في العلوم والفنون

أولاً: تأثير الصينيين بعلوم الحضارة العربية:

أ– علم الفلك: لقد اهتم المسلمون بعلم الفلك اهتمامًا كبيرًا؛ لارتباطه بعباداتهم في الصلاة والصيام والحج، "لذلك لم يكن غريبًا أن يهتم المسلمون الوافدون إلى الصين بهذا العلم أكثر من غيرهم، في حين أن علم الفلك في الصين كان تحت إشراف الأباطرة؛ لأغراض التقويم والتنجيم والزراعة التي تتعلق بشئون الدولة مباشرة، وقد أفادت السجلات الصينية أن فلكيًا عربيًا يدعى (معز) أسماه الصينيون (مايي تسه)، قدم إلى الصين عام (٩٦٥م) بدعوة من الإمبراطور (سونغ تاي تزو)؛ لتصحيح الأخطاء الشائعة في علم الفلك الصيني، وشارك في وضع تقويم (ينغ تيان)، وترجم كثيرًا من كتب الفلك الإسلامية إلى الصينية، كما أنه أدخل الدورة الأسبوعية للأيام في الصين لأول مرة في التاريخ، وضبطها على يوم الجمعة، وتقديرًا لجهوده في تطوير علم الفلك الصيني، عين مسئولا في إدارة المرصد، ونال تقديرًا كبيرًا من ملوك الصين"(٢٠).

وقد دخل علم الفلك الصين، وانتشر انتشارًا واسعًا، "وقد نال التقويم الإسلامي في الصين إعجاب الإمبراطور والفلكيين الصينيين؛ لشدة دقته في علم الفلك، وخاصة في تقدير الكسوف والخسوف، ونتج عن ذلك طباعته ونشره في الصين، ولما كان لتطبيق هذا التقويم من فائدة للبلاد، قررت الصين إنشاء مرصد (هوى هوى)؛ لمراقبة الأرصاد الجوية عام (١٢٧١م)، واستعمل هذا المرصد قرابة ستة قرون"(٢١).

ب– علم الطب والصيدلة: لقد اهتم علماء المسلمين بعلمي الطب والصيدلة اهتمامًا بالغًا، "وزاد اهتمامهم خلال عصر الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ) المعاصر لعهد أسرة تانغ (٦١٨-٩٠٧م)، وفيه نقل الطب الإسلامي إلى الصين، وازدهر في عصر الدولة العباسية، وكان الأطباء المسلمون يعتمدون على الجانب العلمي والتطبيقي للطب، فكان الطبيب يعتمد في تشخيصه للمرض على النظر في وجه المريض، وعينه، ولسانه، وأظفاره، وجس النبض، أما الأطباء الصينيون فكانوا يعتمدون على التأثيرات المختلفة للمرض على نبض الإنسان، ونظرًا لما كانت عليه العلاقات بين المسلمين والصينيين، فقد كان للمسلمين تأثير

كبير في مجال الطب على الصينيين، ولم ينتقل هذا التأثير إلى الصينيين بمجرد المصادفة، بل كان توجهًا صينيًّا رسميًّا منظمًا للقيام بذلك، وهناك من الأعمال الرسمية المخطط لها من قبل الصينيين يشهد على ذلك وهو قدوم عالم صيني إلى العراق – مركز الخلافة الإسلامية – لكي يدرس الطب وعلومه عند المسلمين على يد أبي بكر الرازي[٢٢] (٢٥١-٣١٣هـ/٨٦٥-٩٢٥م).

وقد أشار ابن النديم في كتابه الفهرست إلى قصة هذا العالم الصيني الذي قدم إلى العراق، حيث ذكر أن العالم الصيني تعليم اللغة العربية تحدثًا وكتابة في خمسة أشهر، وأنه طلب من الرازي أن يشرح له بعضًا من مؤلفات الطب اليوناني وترجمته، وقبل شهر واحد من عودته إلى الصين أخذ في تدوين ما تعلمه وما ترجمه من مؤلفات، على طريقة الاختزال الصينية".[٢٣].

تأثر الثقافة الإسلامية بالعلوم الصينية:

أ. **البوصلة**: "بدأ استخدام البوصلة في الملاحة، وفي أسرة سونغ الجنوبية (١١٢٧-١٢٧٩) نقلت البوصلة إلى أوربا عبر بلاد العرب، وكان العرب يسمونها (عين البحارين)"[٢٤].

"ولقد وصل استخدام البوصلة الملاحية في مجال التجارة البحرية في المحيط الهندي إلى العالم العربي، حيث بدأ العرب باستخدامها في رحلاتهم منذ القرن الثاني عشر الميلادي، ومن قبل كانوا يراقبون النجوم لعبور المحيطات"[٢٥].

ب. صناعة الورق: "لقد كان الصينيون قبل صناعة الورق ينقشون المقاطع الصينية على دروع السلاحف وعظام الحيوانات، أو يكتبونها على منسوجات الحرير أو شرائح الخيزران، ونظرًا لصعوبة نقش هذه المواد وغلاء ثمن الحرير على عامة الناس، صنع بعض الناس الورق من نبات القنب في عهد أسرة هان الغربية (٢٠٦ق.م -٢٤م)، وكان خشنًا في البداية، ثم أدخل عليه الموظف الرسمي للبلاط الإمبراطوري (تساى لون) بعض التعديلات حتى حسنت جودته، ثم استمر إدخال التعديلات عليه من بعد ذلك، ثم نقلت صناعة الورق إلى كوريا واليابان في الفترة بين أواخر أسرة سوى (٥٨١-٦١٨م)، وأوائل أسرة تانغ (٦١٨-٩٠٧م)".

ت. الطباعة: "اخترع الصينيون الطباعة في عهد أسرتي سوى وتانغ، وكانت بالألواح الخشبية المحفورة مما زاد سرعة الطباعة، ولكن طباعة كتاب واحد كانت تحتاج كمية كبيرة من الألواح، فاخترعت بعد ذلك في أسرة سونغ الشمالية الطباعة بالحروف المتحركة بعد تجارب متكررة، وكانت هذه الحروف من الصلصال المعرض للنار، ثم نقلت هذه الطريقة إلى كوريا واليابان، ثم إلى فارس ومصر وبلاد العرب".

وكان للطباعة الخشبية اهتمام كبير عند المسلمين، "وذلك بسبب سهولة استخدامها في طباعة الكتب الدينية، فنقلوها إلى بلادهم في عهد أسرة تانغ، واستخدموها في طباعة القرآن الكريم، ويعود تاريخ أقدم منتج استخدمت فيه الطباعة الصينية إلى القرن العاشر الميلادي، عثر عليه بمصر، حيث تمكنت البعثات المتخصصة في مصر من العثور على ٣٠قطعة من الألواح الخشبية عليها طباعة باللغة العربية، تتشابه طريقة طباعتها مع طريقة الطباعة الصينية القديمة، وقد انتقلت هذه الطريقة إلى إسبانيا، ومنها إلى أوروبا"(٢٦).

أ. تأثر الفنون الصينية بالفنون الإسلامية:

فكما تأثر الصينيون بالثقافة الإسلامية في الفلك والطب والصيدلة، فتأثروا أيضًا في تصميم مباني مساجدهم ومدارسهم الدينية، حتى أصبحت تُعدّ من الآثار التاريخية في الصين.

ويذكر في التاريخ الصيني أن مهندسًا مسلمًا من أصل عربي يدعى "اختيار الدين" هو الذي خطط مدينة بكين حاليًا، "ووقع اختيار الإمبراطور عليه لما بلغه عن براعته في فنه، ولاحتياجه إلى معماري بارع؛ لتخطيط عاصمة تليق بدولة المغول بدل نصب الخيام، فكان يساعد اختيار الدين في هذه المهمة الوزيران الكبيران (تشانغ رو) و(دوان تيان لو)، وقد كانا من كبار الضباط العسكريين...، ولما بدأ المعماري في تخطيطه، عمل مسحًا لسطح الأرض في العاصمة، وجهز مصارف المياه فيها حسب انحدار الأرض، وغنى بتخطيط القصور الإمبراطورية من الداخل، فأدرج فيها قاعات البلاط المخصصة للشئون السياسية، وصمم الحدائق ومعبدًا للأسلاف، ومساكن للوصيفات والجواري، وراعى في ذلك كله الطراز والتقاليد الصينية؛ ليلفت أنظار العالم إليهما..."(٢٧).

ب. تأثر الثقافة الصينية بالآثار الإسلامية:

بعد استقرار الكثير من المسلمين في الصين، وتعايشهم مع الصينيين حتى أصبح المجتمع المسلم جزءًا لا ينفك عن المجتمع الصيني، وبدأ الأجيال يتعاقبون ويتعاملون على أنها وطنهم الأصلي، وقد تزينت الصين بآثار إسلامية كثيرة وعظيمة كان لها كامل الأثر في عظمة الثقافة الإسلامية، ومنها المساجد، والنقوش الإسلامية، والكتب والوثائق التاريخية، وفنون الرسم والخط والمعلقات المنقوشة وغيرها.

فأما النقوش الإسلامية فمنها الحجرية والخشبية، وكانت وجودها بكثرة في بلاد الصين وخاصة في المساجد والمقابر، "ومنها لوحة الأولياء الثمانية الغائبين المنحوتة في سور قاعة صحن مسجد هوايشنغ في جوانغتشو، وكذلك نحت لوحات أخرى تحوي أشكال الحيوانات المعبرة عن الفأل الحسن، والنباتات والزهور والأشجار في عهد أسرتي مينغ وتشينغ، وكذلك النقوش الحجرية المنحوتة على ضريح بهاء الدين في يانغتشو في عهد أسرتي سونغ ويوان، ومحتواها من النقوش الفنية المعبرة عن الفأل الحسن، كما توجد منحوتات أخرى داخل المقبرة لأسد وكبش حجريين، وهناك نقوش أخرى على الأرضيات والدعامات السفلية للبوابات في شكل سحابة على هيئة تنين، أو حصان سماوي مع السحب، وذلك في مسجد شيآن الكبير، ويرجع تاريخ هذه النقوش إلى عهد أسرة تانغ إلى مينغ، وكذلك في مسجد هواجيوجيه بمدينة شيآن، ويرجع تاريخها إلى تانغ ومينغ"[٢٨].

تأثر الفنون الإسلامية بالصينية:

بعد استقرار بعض الصينيين المهرة في بعض الحرف في البلاد العربية تأثرت الفنون الإسلامية بالفنون الصينية، فقد تعلم المسلمون العرب من أصحاب الحرف مثل: صناعة الخزف والمنسوجات والفخار، والزخارف والرسوم والألوان، وصناعة الأحجار الكريمة.

فأما صناعة الفخار: "فقد استفاد المسلمون منذ فترة مبكرة من خبرات الصينيين في صناعته، وكذلك الصناعات المشابهة له كالخزفيات والزجاج وزخرفتها وكانت البداية عن طريق تقليد ومحاكاة الحرفيين المسلمين للصناعات الصينية التي أصبح لإنتاجها أماكن خاصة في الحواضر الإسلامية، وبعد أن أتقنوا محاكاتها أصبحت منافسًا قويًّا للمنتجات الصينية"(٢٩).

وأما الزخارف والألوان: "فلقد ظهر التأثير الصيني واضحًا في تركيز الصناع والحرفيين المسلمين، وخصوصًا في إيران في الأساليب الزخرفية والرسوم والألوان، وهو ما انتشر في كثير من الصناعات والفنون الإيرانية، وزاد هذا التأثير في عهد أسرة يوان بعد أن استقدم حكام المغول الكثير من النقاشين والحرفيين الصينيين؛ لمزاولة فنون الزخرفة والتصوير والرسم في قصورهم ومجالسهم... ولقد تطور هذا التأثير في وقت لاحق في البلاد الإسلامية كسوريا والعراق والشام ومصر إلى محاكاة الصناع المسلمين الأساليب الصينية في فن التصوير والرسم، سواء على الفخار والبورسلين، أو على الخزف، أو المنسوجات الحريرية والسجاد"(٣٠).

ومما سبق يتضح التأثير والتأثر الكبير بين الثقافتين الإسلامية والصينية، والإسهام الكامل في كل من العلوم التطبيقية والفنون الإسلامية، وكل ذلك رغبة من المسلمين والصينيين في التعرف على ثقافة الآخر؛ وذلك لإثراء حضارتهم وجعلها في مقدمة الركب الحضاري للبشرية.

والحمد لله أولًا وآخرًا

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، وتنال الغايات والأمنيات، والصلاة والسلام على أشرف المخلوقات سيدنا محمد صلى الله علية وسلم، الداعي إلى الخيرات، والناهي عن المنكرات، وعلى آله وصحبته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين: **أما بعد؛**

في ضوء ما ذكرنا تبين لنا بعض النتائج المستنبطة من هذا البحث وفيما يلي عرض لبعض النتائج وهي على النحو التالي:

أولًا: النتائج:

١. الاتصال الثقافي بين الشعوب والحضارات، وإفادة البشرية بعضهم من بعض فكريًّا، ودينيًّا، واقتصاديًّا حتى في باب العادات والتقاليد.

٢. إبراز الدور الكبير الذي قام المسلمون في نشر العلوم والفنون الإسلامية في الصين.

٣. رغبة من المسلمين والصينيين في التعرف على ثقافة الآخر؛ وذلك لإثراء حضارتهم وجعلها في مقدمة الركب الحضاري للبشرية.

ثانيًا: التوصيات:

وبعد أن انتهى الباحث من هذه الدراسة، وبعد النتائج المستنبطة منها يوصي الباحث بعدة أمور، ومن هذه الوصايا ما يلي:

١. ضرورة التواصل المستمر بين المسلمين العرب، وإخوانهم من مسلمي الصين، مع تكريس الدول العربية علاقاتها القوية بالصين من أجل المساعدة المستمرة علميًّا، واجتماعيًّا، ودينيًّا.

٢. إبراز كافة الجوانب الإيجابية في العلاقات بين العالم الإسلامي والصين؛ لتطويرها والإفادة منها، وكذا إبراز الجوانب السلبية وعدم غض الطرف عنها لعلاجها أو التخلص منها.

٣. العمل على إظهار أهم الجوانب الثقافية التي عُني المسلمون بنشرها في بلاد الصين.

الهوامش

(١) سورة الأنعام، الآية ٤٨.

(٢) مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، د. عبد الرحمن محمد العيسوي، ص١٧٩، دار الراتب الجامعية، بدون رقم طبعة، ١٩٩٦م.

(٣) المرجع السابق، ص٢٤٣.

(٤) العلاقات بين العرب والصين، بدر الدين حي الصيني، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ٩٥٠١م، ص٨، ص٢٠.

(٥) الإسلام في الصين، محمد حسن محمد محمد، دراسة حول الأقلية المسلمة، ص٦٨، رسالة ماجستير بكلية الآداب بجامعة الخرطوم عام ٢٠٠٦م.

(٦) مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن بن على المسعودي، ص١٦٣، دار الأندلس للطباعة، والنشر ط٦، سنة ١٩٨٤م.

(٧) انظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ج٨، ص٩، ولوثروب ستوارد حاضر العالم الإسلامي، ص٢٢٤.

(٨) تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن، دار الجبل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية ط١٣، ص٢، ج٢، سنة ١٩٩٦م.

(٩) الدعوة إلى الإسلام، سير. توماس.ت. أرنولد، ص٣٣٣. بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة العربية للنشر، ط٢، سنة ١٩٧٥م.

(١٠) حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستوارد الأمريكي، ص٢، ترجمة عجاج نويهض، مكتبة دار الفكر للطباعة والنشر، ج١، القاهرة، ط٤، سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٣م.

(١١) المؤتمر الدولي الرابع بكلية الآداب جامعة قناة السويس بعنوان العلاقات العربية الصينية التاريخ والحضارة، ص٨٩، سنة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، بعنوان دراسات في تاريخ الحياة الثقافية للأقلية المسلمة في الصين، لدكتور محمود أحمد محمد قمر.

(١٢) مابينغ (Ma Ping) تاريخ الإسلام المختصر في الصين (نينغشيا (Ning Xia): دار النشر الشعبية نينشيا بالصين، ط١، ٢٠٠٦م، ص٣٢.

(١٣) موجز تاريخ التبادلات الثقافية بين الصين والعالم العربي، ص١٠٣، سونغ شيان، د. ترجمة: حسانين فهمي حسين. الناشر: دار جامعة الملك سعود للنشر، ٢٠١٦م.

(١٤) موجز تاريخ التبادلات الثقافية بين الصين والعالم العربي، ص٩٨:١٠٠، مرجع سابق.

(١٥) موجز تاريخ التبادلات الثقافية بين الصين والعالم العربي المرجع السابق ص١٠٢.

(١٦) المرجع السابق، ص٩٨:١٠٠.

(١٧) الإسلام في الصين، فهمي هويدي، ص١٥٩-١٦٤باختصار. دار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سنة١٩٨١م.

(١٨) تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر ص٣٤، بدر الدين حى الصيني، النشر: دار الإنشاء للطباعة والنشر – لبنان، سنة ١٩٧٤م.

(١٩) تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر المرجع السابق ص٣٤.

(٢٠) أثر الثقافة الإسلامية على اللغة العربية في الصين – تاريخًا ودراسة، ص١٨٤، ١٨٥. لـ بان شيجي، سيف الحق، رسالة دكتوراه بكلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة بيشاور بباكستان، سنة١٩٩٥م.

(٢١) أثر الثقافة الإسلامية على اللغة العربية في الصين – تاريخًا ودراسة المرجع السابق، ص١٨٥.

(٢٢) أبو بكر محمد بن زكريا الرازي وهو فيلسوف من الأئمة في صناعة الطب، ولد في جنوب شرق إيران عام ٢٥١هـ/٨٦٥م). انظر: الأعلام ١٣٠/٦، خير الدين الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، عام ٢٠٠٢م.

(٢٣) تأثيرات الحضارة الإسلامية في الحضارة الصينية في الرياضيات الفلك وعلم الطب والصيدلة والهندسة المعمارية والآلية، د. كرم حلمي فرحات ص٦٥، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٨، عدد ٢، عام ٢٠١١.

(٢٤) ثقافة الصين، هيئة تحرير سلسلة المعارف الصينية، ص٧٢، ٧٣ بتصرف، الناشر: مجموعة بيت الحكمة للصناعات الثقافية، القاهرة، ط١، ٢٠١٨م.

(٢٥) موجز تاريخ التبادلات الثقافية بين الصين والعالم العربي، ص٩٨:١٠٠ مرجع سابق.

(٢٦) موجز تاريخ التبادلات الثقافية بين الصين والعالم العربي، ص١٢١، مرجع سابق.

(٢٧) الأثر الحضاري للإسلام في الحياة الاجتماعية والدينية في الصين، أسامة عبد السلام محمد منصور ص٣٨، ٣٩، في عهد أسرتي يوان (١٢٧٧-١٣٦٨هـ) ومينغ (١٣٦٨-١٦٤٤م)، رسالة ماجستير بمعهد الدراسات والبحوث الآسيوية، جامعة الزقازيق، عام ٢٠٠٥م. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

(٢٨) الآثار الإسلامية لقومية هوى الصينية، تشن يوى نينغ، تانغ شيا وفانغ ص٢٣٤،٢٤٠، ترجمة أحمد السعيد، الناشر: نينغشيا الشيعية، ط٤، سنة ٢٠١٤م.

(٢٩) مظاهر التأثير والتأثر بين الحضارتين الإسلامية والصينية، د.أسامة عبد السلام محمد منصور، ص٦-٨، الناشر الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية.

(٣٠) مظاهر التأثير والتأثر بين الحضارتين الإسلامية والصينية، د.أسامة عبد السلام محمد منصور، ص٧-٨، مرجع سابق.

مراجع البحث

١. القرآن الكريم.

٢. الآثار الإسلامية لقومية هوى الصينية، تشن يوى نينغ، تانغ شيا وفانغ، ترجمة أحمد السعيد، الناشر دار النشر نينغشيا الشيعية، ط٤، سنة ٢٠١٤م.

٣. أثر الثقافة الإسلامية على اللغة العربية في الصين – تاريخًا ودراسة، لـ بان شيجي، سيف الحق، رسالة دكتوراه بكلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة بيشاور بباكستان، سنة ١٩٩٥م.

٤. الأثر الحضاري للإسلام في الحياة الاجتماعية والدينية في الصين، أسامة عبد السلام محمد منصور، في عهد أسرتي يوان (١٢٧٧-١٣٦٨هـ) ومينغ (١٣٦٨-١٦٤٤م)، رسالة ماجستير بمعهد الدراسات والبحوث الآسيوية، جامعة الزقازيق، عام ٢٠٠٥م، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

٥. الإسلام في الصين، محمد حسن محمد محمد، دراسة حول الأقلية المسلمة، رسالة ماجستير بكلية الآداب بجامعة الخرطوم عام ٢٠٠٦م.

٦. الأعلام، خير الدين الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٧. تأثيرات الحضارة الإسلامية في الحضارة الصينية في الرياضيات الفلك وعلم الطب والصيدلة والهندسة المعمارية والآلية، د. كرم حلمي فرحات، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٨، عدد٢، عام ٢٠١١م.

٨. تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن، دار الجبل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، ط١٣، ج٢، سنة ١٩٩٦م.

٩. تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر، بدر الدين حي الصيني، الناشر: دار الإنشاء للطباعة والنشر، لبنان، سنة ١٩٧٤م.

١٠. ثقافة الصين، هيئة تحرير سلسلة المعارف الصينية، بتصرف، الناشر: مجموعة بيت الحكمة للصناعات الثقافية- القاهرة، ط١، ٢٠١٨م.

١١. حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستوارد الأمريكي، ترجمة: عجاج نويهض، مكتبة دار الفكر للطباعة والنشر، ج١، القاهرة، ط٤، سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٣م.

١٢. الدعوة إلى الإسلام، سير. توماس. ت. أرنولد، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، د. عبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة العربية للنشر، ط٢، سنة ١٩٧٥م.

١٣. العلاقات بين العرب والصين، بدر الدين و. ل. حي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٥٠م.

١٤. مابينغ تاريخ الإسلام المختصر في الصين، دار النشر الشعبية نينشيا بالصين، ط١، ٢٠٠٦م.

١٥. مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن بن على المسعودي، ص١٦٣، دار الأندلس للطباعة، والنشر ط٦، سنة ١٩٨٤م.

١٦. مظاهر التأثير والتأتر بين الحضارتين الإسلامية والصينية، د. أسامة عبد السلام محمد منصور، الناشر الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية، سنة النشر ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية.

١٧. مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، د. عبد الرحمن محمد العيسوي، دار الراتب الجامعية، بدون رقم طبعة، ١٩٩٦م.

١٨. المؤتمر الدولي الرابع بكلية الآداب جامعة قناة السويس بعنوان العلاقات العربية الصينية التاريخ والحضارة سنة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، بعنوان دراسات في تاريخ الحياة الثقافية للأقلية المسلمة في الصين، لدكتور محمود أحمد محمد قمر.

١٩. موجز تاريخ التبادلات الثقافية بين الصين والعالم العربي، سونغ شيان، د. ترجمة: حسانين فهمي حسين. الناشر: دار جامعة الملك سعود للنشر، سنة ٢٠١٦م.